

ولم تنتظر الكلاب منه حركة كهذه ، فوجت جباله تفكر ماذا هي صانعة بعد الذي رأت من استسلامه وانقطاعه عن كل مظهر من مظاهر الخوصومة والدفاع ، وكأن كلابنا فهمت عنه ما أراد وفطنت إلى مغزى حركته تلك ، وأدركت دلالتها ومعناها ، فابذعرت قائمة بما هيأ لها هربنا المغلوب من معاني الفوز والغلب ؛ وقام هربنا وسار لطيبته يرهف سمه ويقاب بصره ذات اليمين وذات الشمال ، ويُعدُّ نفسه مرة ثانية لتمثيل الدور نفسه إذا أحوجه الأمر

\*\*\*

وفكرت ملياً فيما شهدت وطفقت أسائل نفسي : أم نحن هنا أمام ظاهرة خاصة من ظواهر الحياة قاصرة على الكلاب وخلافها من ذوات الظفر والنايب ، أم نحن أمام ظاهرة عامة شاملة من ظواهر الحياة تشمل الانسان والحيوان جميعاً ويخضع كافة الأحياء لحكمها وقبورها ؟

ولم يطل أمد المهجس والارتياب ، وأيقنت بعد القليل من التدبر أنها حالة عامة شاملة كاعم وأشمل ما تكونه حال من أحوال الحياة وظواهرها

وتسأل : ما تلك الظاهرة ، وما طبيعتها ؟ ولا نطيل فهي مما وصفنا ورأيت ما يمكن أن ندعوه « توكيد الذات » وإبراز الشخصية . فكلبنا المتحدى الأول لما هاجم الهرم بلا عداوة سابقة أو حقد قديم ، إنما فعلها ليتثبت من قدرة نفسه وحدة أنيابه وقوة عضله ، وليؤكد لنفسه أنه ذو غلبة وبطش ، ومثله في ذلك الكلاب الأخرى ، وعليه لما رأت الهرم يتخاذل ويتنازل لها جميعاً عن كل حق من حقوق توكيد الذات غادرته ولم تؤذها وأنت ترى مما أثبتنا هنا من عمل الكلاب أن هذا الدافع إلى توكيد الذات في الحيوان دافع فطري غير يزي لا يخرج بمجملة عن معنى القتال المباشر الذي تمارسه جميع الحيوانات على اختلاف طفيف بينها في أساليبه وطرائقه

أما في الانسان فيتخذ هذا الدافع من توكيد الذات وتقريرها شتى المظاهر ومختلف الأشكال والصور ، ولن نخطئ مظاهره — في لون من ألوانه — في الطفل والبالغ والشاب والشيخ جميعاً والطفل يبدأ سلوكه يتأثر بهذا الدافع من الصام الأول في

## توكيد الذات

للأستاذ أديب عباسي

لحمت في ذات صباح ، وأنا في الشمس انفض عن نفسي بقية من ليل ، هراً مهزولاً يسير متوجساً متسرفاً على مقربة مني ؛ ولم يطل بهذا الهرم ارتيابه وتوجسه ، وتحقق له سوء ظنه بكلاب الحلي ، إذ لم يمض إلا قليلاً حتى أقبل عليه من إحدى الجواد القريية كلب بطير شديد الجلب شديد العزم على أذيته ، كأن له ترة قديمة عنده وحساباً ينوي وفاءه

وأدرك هربنا أي شيء لا بد لاحق به ، وأدرك كذلك أن الهرم ليس بمنجيه ولا مخمسه من هذا الذي أخذ عليه الطريق وسد المهرب . فاستدار في الحال وازبأر وهراً هرباً وأبدي عن أنيابه ، وأثار بالخصم بصره ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، وتنفش شعره ، وتقوم ظهره ، وشال ذنبه ، ووقف يتحفز

ولم يفك كلبنا المتحدى مغزى ذلك جميعاً ، ووقف تلقاء يرمقه وبروزه يبصره ملياً ، حتى إذا بدا له أن الهجوم من الناحية الأمامية — وقد حصنتها مخالب مرهفة وأنياب حديدية — قد لا يخلو من خطر أكيد ، انفتل منسلاً كدأب الكلاب ، وباغته من الخلف مباغثة استطار لها لبثه وانمخ قلبه . وأقبلت كلاب الحلي تتماوى من بعيد ومن قريب ، وكلها في البني والامم سواء ، فكأنها وكأنها ما عناه الشاعر حين قال :

تكاثر (الكلاب) على خراش فلا يدرى خراش ما (يصد) وهمت عندها أن أقوم وأنجد هربنا المسكين وأذب عنه هذه المرجلة الباغية من الكلاب ، إلا أن هربنا لم يدع لي لأمدخل ، وحل الأشكال بطريقة مسددة من إلهام الطبع ، وهداية الفرزة ، واستعداد الفطرة ، إذ عمد إلى هذه الكلاب يستل سخيمتها ويزيل شرها بالاستسلام لها والكف عن قتالها ، ولسان حاله يقول :

ولو كان « كلباً » واحداً لاحتملته

ولكنه « كلب » وثانٍ وثالث

وما إليها من وسائل التحضيض والتشجيع تهدى هذا الميل وتستغله . وليس من السهل أبداً أن تستبدل بهذا الدافع للعمل والاعتماد به دافعاً آخر من ميول النفس وأهوائها

ويشب الطفل فيجد نفسه بين الأمر الواقع من جد الحياة وبين هذا الميل القوي الذي لا يقفل ولا يهادن ، ويجد نفسه بين المدد الذي لا يحصى من منبسطات العزم ومفترقات السى وبين ما أوجع في نفسه وغرس في طبعه من حبّ الغلب وشهوة الفوز وبروز الشخصية . فاذا أسمدته الهمة ولائمه الظروف وسار سيرة ناجحة في الحياة نشأ نشأة بعيدة إجمالاً من شذوذ الطبع وغرابة الخلق وما يصحبها من شذوذ العمل وانحراف السلوك . أما إذا عاندته الظروف وخاتته الكفاية فهناك ما تشاء من شذوذ الطبع وغرابة السلوك . ولدينا صنوف وصنوف ممن ينشأون هذه النشأة الشاذة في الحياة

فالتقشفون هم إجمالاً نثر فشلوا في الحياة بعد أن خوّضوا فيها ، أو قدروا الفشل قبل ذلك ، فاختصروا على أنفسهم العمل ووقفوا في أول جادة الحياة وبداءة السى دون أن يحاولوا مضياً في الطريق وزيادة في السى . لقد أهيأهم أن يغلّبوا يبتهم ويتغلبوا على ضعفهم ، فاقبلوا على أنفسهم - وهي أهون شيء عليهم - وأحلوا عليها بالخصومة وأضروها بالحرمان وتموّضوا بخصوصيتها عن خصومة المحيط والأضداد من الخارج . ولسنا بالطبع نغزو إلى هذا العكس في ميول الاستعلاء ورغبة البروز وتوكيد الذات جميع نماذج التقشف وإنكار الذات المشهودة ، إذ لا ريب أن من حوادث التقشف ما لا يرجع في بواعثه إلى فشل المرء في الحياة كالذى يرى من تقشّف أناس قد تهيّأت لهم أسباب النجاح في الحياة وذاقوا لذات الفوز والغلب ولكنهم مع ذلك آثروا حرمان الذات ومطاردة الذات . على أننا نود وتقرّر أن معظم حوادث التقشف هي في مجملها وسيلة العجز في تقرير الشخصية وتوكيد الذات

والحمد - كذلك - تغيير صامت واتجاه سلبي معكوس لدافع توكيد الذات . والحمد ينشأ ويتأصل في النفوس كلما تسامت مطالب المرء وبمدت غايته ثم أجزته القدرة وما كسه المحيط فلم يسم ، عملاً وواقعاً ، إلى مستوى مطالبه . ومن هنا يحسب

عمره ، وكلنا يعرف جيداً ما هي الأساليب التي يصطنعها الصغار لينتهوا إليهم الكبار ويستجلبوا رضام وتقديرهم ، ومن هنا كان الفهم الصحيح للطفولة يوجب على المربين الانتباه الشديد لهذا الدافع والانتفاع به في توجيه الصغار توجيهاً صالحاً وتجريضهم على الاجادة والتبريز في حدود إمكانهم وكفاياتهم . وفي الحق ليس أقتل لروح الطموح في الطفل ولا أدعى لفشله من أن يقفل الآباء والمربون هذا الطور الدقيق في حياة الطفل ويتركوه وشأنه بلا تشجيع ولا استحسان حيث يستحقان ، أو يمكسوا الأمر عليه وعلاؤا سمه بالنقد ويقابلوا حماسه بالفتور وثقتته من نفسه بالتشكيك والريبة . ولا ننال إذا نحسب أن أكثر الفاشلين في الحياة هم ممن كانت طفولتهم زراعاً بين إهمال الوالدين وقسوة المحيط وبين ماركب في نفوسهم وغرس في طباعهم من ميل جامع قوى لتأييد النفس وتوكيد الذات . وكمن طفل أمجزه أن يحوز وضى البيئة وتقدير الوالدين بأساليب مقبولة ووسائل سليمة ، فراح بعدها يصطنع أغرب الوسائل وأخطرها في حاضر حياته وآتيها ، كأن يمدد إلى نفسه يؤذيها أذى بليغاً أو يمدد إلى الغير يؤذيها مثل ذلك الأذى ، أو كأن يمدد إلى الآنية يحطمها والثياب يمزقها ولسان يقول : هوذا أنا أثبت كيانى وأؤكّد اقتدارى وكفايتى بما ترون إن كان لا يمجّبكم ولا يبتهمك إلى إلا مثل ما تشهدون

وليس من المتعذر أن تتصور حال مثل هذا الطفل ، إذ يشب ، كيف تكون . وليس من الصعب أن تتبين في مثل هذه الأعمال الشاذة أولى بوادر الأجرام والخروج على النظام وأوضاع الاجتماع . يمكن أن افراد الشرطة في أمرىكا ألقوا القبض ، بعد لآى ، على لص خطير اعتاد أن تصدّى للقطارات ويسلبها ، واقتادوه إلى قاعة التحقيق . وبعد استجواب سيكولوجى دقيق دهش المحققون إذ استبان لهم أن هذا اللص كان في طفولته وحدثه كأشد الناس حياءً وخجلاً . ولما سئل فيم إصراره على أعمال العنف والاجرام أجاب بأنه إنما يفعلها ليؤكد لنفسه أنه ليس من الحياء وخور الزمعة كالذى يحسّ ويشمر

هذا ويجب ألا يفوتنا أن معظم أنظمة التربية الحديثة مبنية على هذا الميل مستهدية به . فنظام الصفوف والباريات والجوائز

فيشقى كما يشقون وينعم كما ينعمون ويكتفى من الأمان والآمال  
بمثل ما يمتنون ويؤمنون ، ويحيل إليك كأنه عاتب على ربه الذي  
خلق من الناس غيره !!

هذا وقد يتخذ النور مظهراً آخر غير مظهره العام حده  
التشدد بالكمال وتقدير الزمان والتبرم بالبيئة ، ويسير في اتجاه  
معاكس أو موارد كالذي يرى في نفر من الناس لم يستطيعوا  
أن يفرضوا أنفسهم على المحيط ولم يستطيعوا أن يجاهروا بكالمهم  
ويمالوا الناس بكفاليهم واقتدارهم ( كما يقدرون لأنفسهم ) ،  
فانقلبوا - لذلك - صنفاً متواضعاً من الناس لا يهتمهم - ظاهراً  
فقط - أن يتلبسوا بحالات زريّة وينتقدوا أنفسهم على مشهد  
ومسمع من الناس . وقد تفشّ غير الفطن مثل هذه المظاهر  
حتى ليعتقد الملاحظ السطحي الذي لم يسر غور الأمور أن هذه  
المظاهر تصدر عن عقيدة صادقة بالنفس وإخلاص في التقدير .  
إلا أنها مظاهر - على كل حال - لا تخفى على المتبصر الذي  
لا يخدعه ظاهر الاخلاص وجودة التمثيل . يحكى أن سقراط  
رأى فتى أثينياً موسراً يعتلى منصة الخطابة في أعمال بالية وثياب  
سهلة ، فنظر فيه سقراط متفرباً زمناً ثم خاطبه بلهجة صارمة :  
أيها الأثيني الشاب ، إنى لأكاد أرى النور والكبرياء يتران  
من اهابك ، ويطلان من وراء كل خرق ورقعة من ثيابك !  
تلك بعض المظاهر السرفة لدافع توكيد الذات . وأما  
مظاهره الطبيعية التي لا إغراب فيها ولا شذوذ فتقع في أشكال  
وألوان عديدة لا تقل عن مظاهر الشذوذ والغرابة

من ذلك هذا الميل العام الشامل لدى جميع الأمم والأجناس  
إلى التقسيم والتدرج وتأليف الطبقات يتميز بعضها من بعض  
ويعلو بعضها بعضاً ، ثم هذا السوي اللطيف والاشتراب الدائم  
من الناس إلى تغيير الأمكنة وتبديل المنزل حيث يشجب  
التغيير والتبديل ، ثم ذلك الجود على ذات الحال والمحرص على  
البقاء في ذات المنزلة حيث لا يُستعنى التغيير والاتقال ، ولعله  
ما كان يتحوّل أبناء الطبقة من الطبقات ولا يترحزون عن  
معلمهم صموداً ولا هبوطاً لو خلا الناس من حافز توكيد الذات  
والاستيقاق إلى الأمكنة العلية والمنازل البارزة

وكما يقع التراحم على المنازل الرقيقة بين الطبقات يقع كذلك  
بين الأجناس والأمم والممالك والدول . ولعل دافعاً قوياً من دوافع

الأخلاقية وعلما النفس أن الحسد ظاهرة عامة شاملة بين الناس  
إذ كان النجاح المطلق الذي يرضى عنده المرء عن كل شيء في  
الحياة مطلباً صعباً وغاية لا يسمو إليها جهد بشري . ويحيل الينا  
أنه لو يسر لامرئ من الناس كل أمانيه ومهدت في سبيله جميع  
الصعاب ودمت جميع العقبات وأنبيل كافة ما تنتشاه النفوس  
وتصبو إليه ، لفكر بجحد وحرقة زائدة في أن ينال كمنزلة الآلهة  
من خلود مطلق وعلم كامل وقدرة فائقة . ومرجع ذلك أن المرء  
بطبيعة تكوينه النفسي والفكري مثالي يكره النقص أبداً ويتطلب  
المزيد والكمال ، والكمال لا حده ولا انتهاء . وهذا لا ريب  
يفسر لنا لماذا ينسنا نجاحتنا الكبير نجاحتنا الصغير ، ولماذا ينسنا  
فشلنا الأكبر أبداً فشلنا الأصغر

والرجل الحساس هو الآخر صنف خاص من الناس فشل  
في أن يؤكد نفسه ويرغم المحيط على اعتبارها وتقديرها بالقدر  
اللقائم له منها في خياله ، فندا - لذلك - سوء الظن بالناس  
كثير الارتباب لهم ، وصار لكل حركة من حركاتهم معنى  
الاجتهاد عليه والانتقاص له والزراية به ، وغدا - كذلك -  
قليل الاحتمال دائم النفرة سوء التقدير

ومثل الحساس - على اختلاف طفيف - الرجل الحبي .  
هذا اذا فشل في توكيد نفسه وتمييز شخصه ، قام في وهمه أنه  
امرؤ لا يصلح للعمل ولا يقوى على الجهاد ، فانزوى منطقياً على  
نفسه تاكفاً على همومه مجترأً لآلامه . إلا أن بينه وبين الحساس  
فرق أن الحساس يعالن الناس غالباً بما يقدر من سوء رأيهم  
فيه ويحتج على ذلك ويدافع عن نفسه ، بينما الحبي في غالب أمره  
لا يفعل شيئاً من ذلك بل يتجرع آلامه صابراً متعاشياً ، يقدر  
الامكان ، أن يجي والناس بسبيل واحد . ومرجع الفرق هنا  
إلى أن الحساس له رأى طيب في نفسه بالإضافة إلى ما يتصور  
من سوء رأى الغير به ، بينما الحبي يسي الظن بذاته ويستعد أن  
الناس لهم فيه مثل رأيه في نفسه

يتضاف إلى هذه المظاهر المكوسة من توكيد الذات مظهر  
آخر هو مظهر الاسراف في النور وتقدير الذات . وهو ينشأ  
إذ يشب المرء - لأسباب عدة من إساءة التوجيه - على  
اعتقاد قوي أنه امرؤ فوق الناس ، وأن من سخافة الأقدار  
وغفلة الزمان وجور البيئة أن يولد بين الناس ، يعيش كما يعيشون ،

ولو بالسخيف الذي لا قيمة له في ذاته ولا وزن  
وفي ميادين الرياضة البدنية من أثر هذا الدافع أن اللاعبين  
والمشاهدين والمتحاضرين يقررون أشخاصهم ويؤكدون ذواتهم لدى  
النظارة والمشاهدين . ولولا ذلك لظلت الألعاب الرياضية ظاهرة  
فردية أكثر منها ظاهرة اجتماعية . وأنت تلمس أثر ذلك جيداً  
من الحماس الذي يستولى على قلوب اللاعبين كلما أكثر عدد  
المشاهدين وزاد تحريفهم وتحمسهم للاعبين . ولو كان ترويض  
الأجسام وحده هو المقصود من الألعاب الرياضية لا كتفى اللاعبين  
بملاعبة ذواتهم ومناقفة أنفسهم وحسب

وفي ميدان الرياضة العقلية والترويح عن النفس بالنكتة والهزل  
يقع هذا الميل موقفاً أول . وما يؤلف من نكتة وبروح من نادرة  
ويذيع من فكاهة مرجحة في الأصل ميل النفوس الى التسرية  
بالظهور والبروز والاستملاء على الخصم المشهود أو الغائب .  
فتحنن إذ نضحك من موضوع النادرة أو الفكاهة ، إنما  
نضحك لأنها تضع لنا شخصاً أو أشخاصاً موضعاً غريباً  
ضعيفاً يثير فينا حس الاستملاء والبراءة من النقلة أو الجهل  
أو البقاء . على أن النادرة — في الأحوال الطبيعية — تعجز  
المعجز كله أن تستثير الضحك فينا إذا بلغ الضعف في موضوعها  
حس الاستملاء ، ويشير بدلاً منه حس الشفاق والخشية  
أن يصيب هذا الموضوع شيئاً أو أذى يبلغ . ومن هنا قد  
يصور لك الكاتب صورة هزلية تستثير الضحك والابتسام ،  
ولكنك لا يسمك إلا أن تجم وتكف عن الابتسام والضحك  
متى بان كاتبك بموضوع هزله حدّاً خطراً كأن يتعرض لخطر  
أكيد أو يضحى على حال تدعو إلى الشفاق والأسى ، ولن  
يميدك إلى استشعار الغبطة والسرور إلا أن يعيد لك الكاتب  
موضوع هزله إلى مثل حاله الأولى التي لا تبلغ من القوة إضاف  
حس الاستملاء فيك ولا تبلغ من الضعف توليد حس الشفاق  
والأسى في نفسك

والميل إلى توكيد الذات وما يستتبعه من شهوة البروز  
ورغبة الاستملاء تعمل عملها الأكيد في ميدان العمل  
الاجتماعي وفي مجال القيادة الاجتماعية ، إذ كان الانقياد وحسب  
التعاون يستحيلان على الجمهور إذا لم يقم فيه القادة الذين يفرضون  
ذواتهم فرضاً على الناس ويقودونهم قيادة حازمة قوية الى حيث

الحروب كان يزول لو زالت من النفوس رغبة الامتياز وهوى  
الاستملاء

وفي الناحية الفردية يظهر الميل إلى توكيد الذات توكيداً  
طبيعياً مقبولاً في مظاهر عديدة ؛ منها رغبة التميز والتبذير في  
الاكتشاف والاختراع والابداع الفني والأدبي ؛ ومنها رغبة  
البروز والامتياز في مجال الاقتصاد وجمع الثروة ؛ ومنها حب الغلب  
والانتصار في ميادين الرياضة البدنية من محاضرة ومصارعة  
وملاكمة وخلافها ؛ ومنها — كذلك — حب الانتصار في ميادين  
الرياضة العقلية والترويح عن النفس بالنكتة البارعة والفكاهة  
الطليقة والهزل المستجد ؛ ومنها حب التبريز والسمو في ميادين  
القيادة الاجتماعية ؛ ومنها شهوة التغلب والظفر في ميادين الحب  
والفزل ، ومنها خلاف هذا شيء كثير

فرغبة الامتياز وشهوة البروز في ميادين العلم والاكتشاف  
والاختراع ، وفي ميادين الابداع الفني والأدبي ، هي في أول دوافع  
الانشاء والابداع العلمي والفني . وليست الرغبة في الاختراع  
والاكتشاف ، وفي الابداع الفني ناجمة فقط مما ركب في النفوس  
من غرائز الاستنراب وحب الطرافة وما يكون من تسامى دوافع  
الفريزة الجنسية من مستواها الحسي إلى مستوى أعلى وأجل ،  
إنما هي ناجمة إلى حد كبير مما ركب في الطباع من ميل  
قوى إلى تقرير الذات والتغلب على الصعاب والعقبات

وفي مجال جمع الثروة وحشد المال مظهر توكيد الذات ما تراه  
من عدم وقوف الناس في جمع الثروة عند الحد الذي ييسر جميع  
مطالب العيش وأسباب الرفاه والدعة . فالمرء يعمل أولاً لرد غائلة  
الجوع وسد الحاجات الضرورية ، فاذا تيسر له مقدار من الثراء  
يحقق له سد الحاجة وطرده الفاقة انتقل حافظ الانتاج من مجال  
الحس إلى مجال الشعور ، وغدا هدف الانتاج وتكثيره لذة التميز  
والانفراد بالشيء . ومن هنا قلما نرى رباً من أرباب المال يعتربه  
الفتور والوئاء في الجمع والانتاج ، لأن في ذلك وسيلة صامئة يكثر  
بها الأعداء ويرغم الخصوم ويدل على الأقران . وهذا الدافع  
لا ريب يفسر لنا تفسيراً مقبولاً كثيراً من أنواع الاستملاك  
السخيف ، كشهوة جميع الطوابع وتوابع المظالم ومخطوطات  
الكتاب ، وخلاف هذا مما لا قيمة له في ذاته ، وإنما كل قيمته  
ما يشعر مالكة بلذة الانفراد بالشيء والامتياز عن الناس

من (الكتاب الذهبي) قبل أن يطبع

## لغة الأحكام والمرافعات

للأستاذ زكي عربي

— ٤ —

### لفظ المرافعة لفظ التماس

ويجب ألا ينرب عن الذهن أن الترافع ملتصق ، فلفته يجب أن تكون لفة التماس يحوطها الاحترام الكلي للهيئة التي يترافع أمامها . قد يكون أغزر من سامعيه علماً وأظهر فضلاً ، وقد يكون كلامه لهم نعليماً ، ولكن عبارته يجب أن تكون عبارة لكبار وإعظام

والاحترام والاكبار لا يقتضى التذلل ولا الضعة في توجيه الخطاب . وشد ما أكره عبارة « سيدى اليه » بوجهها بعض الزملاء إلى قاض ليس « بيكا » ولا هو بحاجة إلى رتبة تخضع عليه على سبيل التأدب الزائد وقد يحمل خامها على أنه زلنى وتقرب

### وفي الوقت عينه لفظ امرأة

على أنه إن كانت لفة المرافعة لغة تعظيم وتوقير فهي في الوقت عينه لغة عزة وجرأة . وقد روى التاريخ مواقف للمحاميين رقوا فيها إلى درجة البطولة . انظر إلى ديسيز وقد دعاه لويس السادس عشر إلى الدفاع عنه أمام الجمعية التأسيسية في وقت جمعت فيه هذه الهيئة في يدها جميع السلطات ، وأصبح مجرد الاشارة إلى اللوكة جريئة . انظر إليه وهو يواجه هيئة ضمها أمثال روبسبير ودانتون ومارات . انظر إليه وهو يقرع أسماعهم وقلوبهم بهذا الخطاب الخالد

« أيها المواطنين ! سأخطبكم بلسان الرجل الحر . إنى أبحث بينكم عن قضاة فلا أجد غير متهمين

أريدون أن تجعلوا من أنفسكم قضاة « للويس » وأنتم خصومه ؟ أريدون أن تجلسوا للحكم في قضية لويس ولكم فيها رأى يجوب أوروبا من أقصاها إلى أقصاها ؟

أىكون لويس الفرنسي الوحيد الذى لا يعميه قانون ولا يتبع في محاكته إجراء واحد صحيح ؟

يشاءون لهم من رفعة وخير وصلاح

وقد يستدرك القارىء هنا ويسأل : أيبكون الميل إلى توكيد الذات وشهوة البروز في مجال القيادة والزعامة عامل خير ووسيلة صلاح في ميادين العمل الاجتماعى ، ونحن نشهد من آثارها هذا الميل السرف والتكالب الزرى على أسباب البروز والرفعة في ميادين الزعامة المختلفة ، وان يكن ذلك — في كثير الأحيان — على حساب الأمان العامة واهدار المصالح الكبرى للشعب ؟

ونجيب أن الميل إلى توكيد الذات عن طريق السيادة الاجتماعية ككل ميل آخر من ميول النفس يضحي أداة فاسدة ووسيلة هادمة إذا خبثت النفوس وأسفت الغاية ، وعلى أن في يد الشعب — في معظم أموره — القدرة على كبح هذا الميل وحصره ضمن حدود الصالح العام ، بما يداول من ثقته بين الزعماء والقادة وبما يشهر بالقيادة النغمية المتاجرة وبما يولها من الوقت والمحاسبة الشديدة ، مما يقمع في القيادة عواطف الأثرة وحب الانتهاز والاستغلال حيث هم أن تبرز وتستعلن .

ولا مراد في أن الانتهاز والاستغلال عن طريق القيادة الاجتماعية يقلان في شرفنا إجمالاً قلة مطردة بما تحمده التربية من رفع مستوى التعليم والتنبه الفكرى وتمييق غور المواطنف الاجتماعية وأخيراً أثر هذا الميل في ميدان الحب ، فترى أن دافع توكيد

الذات هذا يعمل عمله القوى في طلب التنوع في الحب وعدم الاكتفاء بحبيب واحد يقصر عليه المم وينيط به القلب إلى آخر العمر . وذلك أن من الناس من يبلغ حس الاستملاء وشهوة التلب ورغبة البروز عندهم مبلغاً يطفى عندهم على عاطفة الحب الصحيح فيندو لا يهتمهم من يحبون بقدر ما يهتمهم كم من الخلق وقع في حبال حبهم ، فكأهم بهذا يقيسون قدرتهم على التلب والفوز في ميادين الحب بعدد اللواتى يهتمهم ذكركم واستحوذت على قلوبهن صورهم

وتقف عند هذا الحد من التفصيل والتمثيل لهذا الميل في أحواله الطبيعية والشاذة موقنين أن الاستقصاء التام والحلاء الكامل لجميع آثاره إنما هو استقصاء لأعظم حالات النفس أترأ مطبوعاً في الخلق والسلوك وأشدّها دافعاً وحافزاً على العمل ، وليس هذا المجال مجال ذلك

أريب عباس